

بقلم : جون ب . كوير

لنبدأ أولاً بسلسلة من الحقائق يمكن وصفها « بمؤامرة الحقائق » التى أومن كقاعدة مسلم بها أنه لم يعد من الضرورى القول بأن للولايات المتحدة تاريخاً للأفلام يستحق الحفظ . وليس ثمة شك فى أن أى امرئ استمع إلى الأحاديث التى أذيعت من هذه السلسلة سيترف بأن تاريخ الفيلم الأمريكى الذى يبلغ ٨٠ عاماً يتضمن أفلاماً ممتازة فنية كثيرة وأمثلة عن سجلات تاريخية فريدة لأحداث القرن العشرين .

إننى أعتقد أن معظم المستمعين سيوافقونى على أنه قبل أن يكون لأية دولة معرفة موثوقة بأفلامها الرائعة . فإن الأفلام الحقيقية يجب أن تكون فى متناول المثقفين وإلى جمهور كبير من النظارة متى كان ذلك ممكناً .

إننى أقر بأن هاتين الحقيقتين واضحتان ولا يمكن اعتبارهما « مؤامرة » ولكن هناك لسوء الحظ (حقيقة ثالثة) تغيب عن ذهن كثير من الناس المعجبين بتراث أمريكا القيلمى ، وهى الحقيقة البسيطة المخيفة بأن صور السيلوليد والصور الكيماوية التى يتألف منها هذا التراث تدمر نفسها بنفسها ، ومن ثم فإن تراثنا آخذ فى الاختفاء .

إن كثيراً من الناس يمكن أن يفهموا الحاجة إلى حفظ الكتب لأنه من السهل

التفتيش عليها وملاحظة مدى تلفها مع مرور الزمن . ولكن عدداً قليلاً منهم من يدرك أن الصور المتحركة التي تضم أيضاً التلفزيون هي أكثر الفنون التي نراها ونسمعها ، ضعفاً وقابلية للتلف والزوال . إنني لا أتحدث عن الأفلام القديمة أو الأفلام الترتيبية التي كانت تصنع خلال الخمسين عاماً الأولى لصناعة الصور المتحركة . إن هذه القابلية للتلف والزوال مازالت لسوء الحظ تنطبق على جميع الأفلام الملونة التي تنتج تجارياً وكذلك على أشرطة التسجيل التلفزيونية .

وثمة حقيقة أخرى « تأمرت » على توسيع نطاق تدمير تراث الفيلم الأمريكي ، فقد مضى ٤٠ عاماً على إنتاج الأفلام قبل أن يدرك أمناء المكتبات والمحفوظات أن الصور المتحركة ليست وسيلة من وسائل التسلية والترويح فحسب ، وإنما تعد أيضاً تسجيلاً للأحداث التاريخية كتعليم وقوة اجتماعية وشكل صحيح من أشكال الفن .

إذن يتبين من ذلك ومن « مؤامرة الحقائق » أن الأفلام قد صادفت إهمالاً وهي أفلام قابلة للتلف والزوال والتدهور في كل دقيقة تمر ، ومع ذلك فإنها تعتبر وثائق تاريخية وقيمة خليقة بأن تحفظ وتنفذ وتدرس وتوزع على أوسع نطاق ممكن .

إن كمية إنتاج الأفلام الأمريكية كانت إلى وقت غير بعيد تعمل ضد تطوير سياسات فعالة قومية لحفظ الصور المتحركة فثلاً تتضمن كتالوجات الأفلام المسجلة لحقوق ملاكها ١٣٧,٤٦٦ فيلماً أنتجت في المدة من عام ١٨٩٤ إلى عام ١٩٦٠ . إن مائة ألف وسبعة وثلاثين وأربعائة وستين فيلماً يعتبر عدداً ضخماً إذا قورن بإنتاج الدول الغربية الأخرى . وإذا توخينا الدقة والحقيقة فإنه يمكن القول أن هذا الرقم يمثل فقط جزءاً من عدد الأفلام الحقيقي من مختلف أنواع الأفلام التي أنتجت في الولايات المتحدة . ولعل هناك نصف هذا العدد من الأفلام غير المسجلة في هذه البلاد . ومن ثم فإنك تستطيع أن تتصور أن إنتاج هذا العدد الضخم من الأفلام وما يتضمنه من إنفاق أموال طائلة دون أن يكون مقروناً بالعناية اللازمة أمر ينطوي على « انهزامية » فيما يبدو .

لأن حفظ الأفلام يحتاج إلى أموال طائلة وجهد كبير وعناية فائقة . لقد كان دائماً من الأسهل في معظم الحالات إنتاج أفلام جديدة بدلاً من العناية بالأفلام القديمة ، وإلى جانب ذلك كان الطلب الصناعى للمعارض والتوزيع والإنتاج يمثل المطالبة بتراجع القديم لإفساح المجال الجديد .

ونظراً لضخامة إنتاج الأفلام الأمريكية فإنه لم يكن هدف حفظ الأفلام في هذه البلاد يعنى صيانة كل فيلم يتم إنتاجه ، بل إن بعض الناس يرون أن هلاك الأفلام الأولى الذاتى أمر صحى لأن ذلك من شأنه تقليل ما يصفونه « بالتلوث الاصطناعى » لمجتمعنا . وإننى يجب أن أعترف ، بصفتى أميناً ممارساً للمحفوظات بأن لهذا القول بعض النواحي المشجعة ، لأنه يقلل من شعورى بخيبة الأمل من الاختفاء المستمر لتراتنا الفيلمية . وهو إلى جانب ذلك ، يدعم ذاتى ويجعلنى أشعر بما لا يدع مجالاً للشك بأن تلك الأفلام التى نجحت الجهات المختصة حقيقة فى المحافظة عليها هى أهم الأفلام على الإطلاق . على أننى انتهيت إلى نتيجة وهى أن هذين الشعورين مضللان إلى حد خطير .

وإننى أعتقد أن هؤلاء الناس الذين يقولون بأن « الهلاك الذاتى » أمر صحى هم الأشخاص غير المقتنعين بأن السينما جديرة بالاعتبار الجدى والاحترام ، ولقد وجدت فى الواقع أن أميناً حقيقياً لمكتبة أفلام سيحاول دائماً أن يصون أكبر عدد ممكن من الأفلام فى ظل الظروف التى يعمل فيها وإن كان فى الوقت نفسه يعتقد بأن حفظ كل فيلم من الأفلام الأمريكية يعد ضرباً من المستحيل . وإلى جانب ذلك ، فهو يدرك أن الأفلام التى ينجح فى المحافظة عليها وصيانتها يمكن أن تكون من بين أحسن الأفلام التى ظهرت فى جيله وأن قائمته الخاصة بالأفلام المحفوظة قد لا تتضمن فى الواقع بعض الأفلام الهامة لمؤرخى المستقبل .

إننا لو لم نكن قد حاولنا حفظ كل فيلم تم إنتاجه فى أمريكا فإن السؤال الذى

يفرض نفسه هو ، ما هي إذن الأهداف التي تبنيها وما هي المنظمات التي اشتركت في تحديد هذه الأهداف ؟ ولعل من الأفضل التحدث عن المنظمات أولاً لأن رعاية الأفلام عمل متخصص للغاية . ولكن يستحيل علينا في خلال هذه الفترة زمنية المسموح لنا بها أن نذكر كل أرشيف فيلمي . ومن ثم فإنني سأقصر حديثي على المنظمات الأقدم عهداً والأضخم حجماً والأكثر نشاطاً وعملاً .

كانت أول منظمة أمريكية أهلية تدخل عمل حفظ الأفلام هي متحف الفن الحديث في مدينة نيويورك . أسست المنظمة في عام ١٩٣٥ بفضل سخاء مؤسسة كبيرة ، وكان هدف مكتبة الأفلام بالمتحف هو « متابعة الأفلام ووضع كتالوجات عنها وجمعها وعرضها ووضع برامج فيلمية حتى يمكن دراسة الصور المتحركة والتمتع بها » . وكان دور المتحف كمتحف فني يعني أن الأفلام التي حصل عليها قد اختيرت كنماذج للفن السينمائي العالمي لا كنماذج لمجالات أخرى للمعرفة . وهكذا كان المتحف رائداً في تشكيل الذوق السينمائي لجيل بأسره . إن دوره كصانع للذوق على جانب من الأهمية كبير لأنه يعطي الحياة للتعرف على تاريخ صناعة السينما في هذه البلاد وخارجها . وما أن خل عام ١٩٦٣ حتى وصل عدد الأفلام التي جمعها المتحف ٣٠٠٠ فيلم وأضيف عدد مماثل في العشرة الأعوام اللاحقة ، وبذلك أصبحت مجموعة الأفلام تتضمن أفلاماً من جميع أنحاء العالم .

ولقد بدأ موظفو مكتبة الأفلام والمتحف بعد بضعة أعوام من تأسيسه يشعرون أن ثمة مهمتين مرتبطتين لا محالة بمهمة جمع الأفلام وهما حفظ الأفلام جانباً كبيراً من ميزانيته وطاقاته . وقد حدث في أوائل الستينيات أن كثيراً من الأفلام الهائلة التي قدمت إيريس باري ، وخليفها ريتشارد جريفيث بجمعها قد تعرضت لخطر التلف ، ولكن و لم فان دايك ، المدير الحالي لإدارة الأفلام بالمتحف استطاع أن يعي تأييداً كبيراً لعملية صيانة فعالة متزايدة .

أما المهمة الثانية التي تتيح تسهيلات لدراسة الأفلام وتقديم المنح الدراسية فهي تعتبر ضرورة ملحة متزايدة . ولقد حققت إدارة الأفلام تقدماً هاماً في هذا المجال بواسطة إنشاء مركز للدراسة مزود بمبهمات للمشاهدة لكل من يرغب في استخدامها مع برنامج للعرض الموسع للخريجين من الطلبة والأساتذة . إن التكاليف الفعلية التي يتحملها المتحف والخاصة بخدمات من هذا القبيل كبيرة جداً ، وإن الجهد الرئيسى الذى يبذله المتحف والنجاح الذى أصابه قد تركز فى عمليات العرض فى نيويورك وخدمات التوزيع التي وفرت تشكيلة كبيرة من الأفلام الفنية للدراسة الجامعية والفيلمية فى جميع أنحاء البلاد .

إن من العناصر الأساسية لمكتبة إدارة الأفلام هو توزيع مجموعاتها التي تمثل نماذج من الأفلام من جميع الفترات والبلاد . وهى بمثابة العمود الفقارى لدراسة عامة لتاريخ الأفلام وتطورها . ومع أنه لا يمكن استكمالها لأسباب تتعلق بقيود قانونية والتكاليف ، فإنها لا يمكن أن تكون كاملة ويمكن المجموعة المخصصة للتوزيع مرتبة ترتيباً فى غاية الاتقان ومدونة فى كتالوجات . وهناك بيانات متاحة عن كل فيلم من الأفلام .

وثمة عنصر أساسى آخر لمجموعة متحف الفن الحديث وهو تلك الأفلام التي لا يجرى حالياً توزيعها بسبب الاهتمام المحدود بها ، وتلك الأفلام التي لا يسمح أصحابها بتوزيعها أو تلك الأفلام التي مازالت فى حالة التدهور . إن إدارة الأفلام تواصل نشر كتالوجات عن المجموعة كلها تتضمن مرجعاً لأفلام المجموعة للدارسين .

تتضمن مجموعة إدارة الأفلام بمتحف الفن الحديث أفلاماً أمريكية أكثر من أفلام البلاد الأخرى . ولكنها فى الوقت نفسه غنية بنماذج من الأفلام التي تحكى قصة تطور السينما فى البلاد الأخرى وتعتبر الأفلام الفرنسية والألمانية والوطنية والإنجليزية والسويدية أقوى المجموعات ، وهناك أيضاً مجموعات أساسية من إيطاليا والدانمرك وأندونيسيا

وبولندا والهند واليابان . وهناك مع مجموعة الأفلام مجموعة هامة من الوثائق المطبوعة عن الأفلام والمراسلات الشخصية والعملية والرسومات والتصميمات ومعلومات عن الموسيقى التصويرية الأصلية للأفلام الصامتة وغير ذلك . وفي المكتبة (ملف) يتضمن مقالات عن الصور المتحركة وملف يتضمن قصاصات صحفية من التعليقات «كُتباً» ومجلات دورية عن الأفلام . وصفوة القول ، إن المتحف لديه أكبر مجموعات من الأفلام في الوجود .

إن صيانة تراث أمريكا الفيلمي قد تدعمت منذ عام ١٩٤٨ بفضل جهود « دار جورج إيستمان » للتصوير . حينما فتحت هذه الدار أبوابها للجماهير في عام ١٩٤٩ . كان يعمل فيها جيمس كارد كرئيس الأرشيف الفيلمي الذي كان وحده قد وضع في الأرشيف ما يملك من أفلام بلغ عددها ٨٠٠ فيلم .. وقد بدأ في جمعها منذ عام ١٩٣٥ بحصوله على نسخة من الفيلم الألماني الصامت المشهور « خزانة الدكتور كاليبجاري » . كانت مجموعة كارد الأولى قد تم جمعها كما قال « على أساس الشخصة والغرض دون أن يكون عنده أى تصور بأنها ستصبح يوماً ما نواة كبيرة لأرشيف هام » ... وقد استطاع كارد أن يقنع المسؤولين في دار جورج إيستمان بأن هناك حاجة لوجود أرشيف آخر إلى جانب الأرشيف الفيلمي في متحف الفن الحديث . وكانت دار إيستمان منذ البداية قد انتهجت سياسة تستهدف تكملة المجموعة التي يكتونها متحف نيويورك لا جمع صور أخرى منها ، وكانت نتائج هذه السياسة تسم بالأهمية لأنها تعنى أن دار إيستمان قد عكفت على جمع الأفلام التي لم يستطع متحف نيويورك الحصول عليها ، وكانت هذه الأفلام في حالات كبيرة تشمل أفلاماً لم يتنازلها النقاد بالتعليق أو أفلاماً لم يشأ معهد الفن الحديث أن يلتفت إليها لأنها لم تكن تنسق وذوقه . ولعل أوضح مثل على هذه السياسة هو فيلم « بن حور » الذي ظهر في عام ١٩٢٥ ومثل أدوار البطولة فيه رامون نوفارو وفرنسيس إكس بوشمان وماى ماك أفوى

وبيتي برونسون . على أن من الأفلام الهامة التي تضمنتها مجموعة المتحف من الأفلام الأمريكية الصامتة من إخراج فيلم « شيخ الأوبرا » - ١٩٢٥ - وفيلم « أحذب نوتردام - (١٩٢٣) . وفي عام ١٩٥٠ تعاونت دار جورج أيستمان مع شركة مترو جولدوين ماير في إعداد طبعة دائمة من النيجاتيف الأصلي لفيلم (الجمهور) الذي أخرجه فيدور (١٩٢٧) ولولا هذا التعاون بين المؤسستين لما كان هناك الآن نسخة دائمة من هذا الفيلم الأمريكي الرائع .

وإلى جانب ذلك ، جمعت دار أيستمان مجموعة كبيرة من الأفلام الأجنبية ، ولديها موظفون متخصصون لهذا الغرض من الباحثين والأخصائيين وتتولى تنظيم برامج موسمية لعرض الأفلام في مسرح درايدن الممتاز الذي تملكه ، ولديها أيضاً مكتبة للبحث من الكتب والمخطوطات وأكثر من ثلاثة ملايين من الصور السينمائية لكي يستخدمها الأفراد المعتمدون .

إن دار جورج أيستمان وإدارة الأفلام بمتحف الفن الحديث مؤسستان أهليتان تخدمان الجمهور بإخلاص وقوة . على أن أكبر أرشيف فيلمي في أمريكا موجود في واشنطن وتضطلع الحكومة الفيدرالية بإدارته . وهذا الأرشيف مؤلف من قسم الصور المتحركة بمكتبة الكونجرس وقسم أرشيف الأفلام التابع للأرشيف القومي .

ومع نمو صناعة السينما وازدياد أهميتها وتنوعها منذ عهد طوماس أديسون ، فقد اتسع أيضاً نطاق أنشطة مكتبة الكونجرس في حقل الصور المتحركة وازداد قوة وتنوعاً . وتتضمن أنشطة المكتبة الآن برنامجاً لصيانة الصور المتحركة والمواد المتعلقة بها وبرنامجاً لإتاحة خدمات وتوفير الكتالوجات والفهارس عن الأفلام للمكتبات والعلماء وعالم الصور المتحركة وكذلك توفير مركز للدراسة لكي يلجأ إليه العاملون في حقول البحث . إن مجموعات الصور المتحركة في المكتبة كبيرة وفريدة من نواح كثيرة . ومع أن الجانب الأكبر من المجموعات أمريكي ، فإن عدداً كبيراً من الأفلام الألمانية والإيطالية

واليابانية التي توفرت أثناء الحرب العالمية الثانية قد تم تحويلها إلى المكتبة بواسطة مكتب الممتلكات الأجنبية خلال المدة من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٦٣ . وتتضمن هذه المجموعة حوالى ٥٠,٠٠٠ فيلم وهى فى عهدة قسم الصور المتحركة الذى يحتفظ بهـه المجموعة الكبيرة لأغراض الدراسة والبحث .

لقد بدأت المكتبة فى جمع الصور المتحركة فى أوائل التسعينات من القرن التاسع عشر وفقاً لقانون حقوق النشر والملكية . وبالإضافة إلى جمع بعض الأفلام بفضل هذا القانون ، ثم اقتناء أكثر من ألف من الأفلام الأولى بواسطة شراء مجموعة جورج كين فى عام ١٩٤٧ وكذلك بواسطة المنح التى تلقتها المكتبة مثل مجموعة أفلام أيرنست الكوميدية وأفلام الكارتون ومجموعة ألان للأفلام التسجيلية والترويجية ومجموعة مارى بيكفورد ومجموعة أفلام وليم س . هارت . وتتضمن المكتبة الجديدة من الأفلام بواسطة المنح والهدايا أو التحويل من وكالات حكومية أخرى أفلاماً قديمة من معمل أديسون فى وست أورانج بولاية نيوجيرسى ، وأفلام تيودور روزفلت من مجموعة « مكان ولادة روزفلت » ونماذج من الأفلام التعليمية التليفزيونية . ولقد تعاونت المكتبة ومعهد الفيلم الأمريكى فيما بينهما فى إضافة زهاء ٨٠٠٠ فيلم آخر إلى المجموعة وهى أفلام يرجع تاريخها إلى المدة من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩٤٢ . وإلى جانب ذلك تجرى إضافة ١٢٠٠ فيلم من الأفلام المعاصرة تقريباً إلى المجموعة .

لقد كانت صيانة مجموعة الصور المتحركة وحفظها هدفاً من أهداف المكتبة الرئيسية منذ عام ١٩٤٢ . وكان عدد كبير من الأفلام الأولى التى تم إيداعها فى المدة من عام ١٨٩٤ إلى عام ١٩١٢ يتألف من سلسلة صور البوزيتيف مطبوعة على رولات من الورق بدلاً من السليويد . وكان من الصعب فحصها ومن المستحيل عرضها . وإلى جانب ذلك فقد كثير من صور النيجاتيف لهذه الأوراق أو أنها أصابها التلف فى خزائن متجها . وفى عام ١٩٤٨ تبنت أكاديمية فنون وعلوم الصور المتحركة تجارب

لتطوير أسلوب عملى لاعادة تصوير الصور المطبوعة على ورق بأفلام مضمونة مقاس ١٦ ملليمترًا. وبعد التوصل إلى طريقة فنية مرضية مكتملة ، تحملت الأكاديمية تكاليف نقل ١٦٠٠ من البكرات إلى أفلام وبدأ الكونجرس الأمريكى مساهمته فى هذا الحقل . فى عام ١٩٥٨ اعتمد مبالغ لمواصلة المشروع . ولقد تم الانتهاء من عملية حفظ هذا الجزء الهام من مجموعة الأفلام فى عام ١٩٦٤ . وجدير بالذكر أن قسم الصحافة بجامعة كاليفورنيا أصدر أخيراً فهرساً لكاتب دافيد عن هذه الأفلام التاريخية الهامة .

إن كثيراً من الأفلام التى أنتجت فى العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات وتضمنتها المجموعة مطبوعة على مادة من النترات الشديدة القابلة للاحتراق ، وهى محفوظة فى خزائن مضادة للحريق خارج منطقة كولومبيا . ولقد بذلت المكتبة فى العشرة الأعوام المنصرمة كل جهد ممكن لتحويل هذه الأفلام القابلة للاحتراق إلى أفلام أمينة حتى يتسنى حفظها وجعلها متاحة كمرجع لمن يرغب فى العودة إليها ، ومع أن جهود الحفظ والصيانة هذه مازالت مستمرة فإن التقدم المبدئى الذى تم تحقيقه تقدم مشجع ، وعمدت المكتبة فى غضون العامين المنصرمين إلى إنشاء معمل متقدم ومتخصص فى أعمال الحفظ للمساعدة فى التعجيل بهذا العمل . ويعتبر قسم أرشيف الصور المتحركة التابع للأرشيف القومى ، الأرشيف الكبير الثانى التابع للحكومة الأمريكية . وقد أنشئ هذا الأرشيف وفقاً لقانون أصدره الكونجرس فى عام ١٩٣٤ ويتولى هذا الأرشيف جمع التسجيلات الفيلمية والصوتية المتصلة بالأنشطة التاريخية للبلاد . وهو يعتبر بمثابة أرشيف للأفلام التسجيلية والقصاصات الفيلمية . يحتوى قسم أرشيف الأفلام والتسجيلات الصوتية على ٨٦٠٠٠ من الأفلام أو ٥٠٠٠ فيلم منفصل . إن ٧٥ فى المائة من هذه الأفلام أنتجتها الحكومة الأمريكية ، أما الخمسة والعشرون فى المائة الباقية فقد أنتجتها مؤسسات

أهلية . وتتضمن هذه الأفلام الأخيرة أفلاماً إخبارية ممتعة وأفلاماً تسجيلية ابتداءً من فترة العشرينيات وكذلك مختارات كبيرة من مكتبة الأفلام الإخبارية العالمية قبل عام ١٩٥٠ . ولقد توفف إنتاج الأفلام الإخبارية التجارية في أمريكا في عام ١٩٦٧ ، ولكن من الأهمية بمكان البحث عن بقايا هذه المجموعة وحفظها . وبالإضافة إلى ذلك أنشأ الأرشيف القومي معملاً للحفظ خاصاً به ، وأصبح لديه الآن زهاء ٦٠٠٠ بكرة من أفلام النترات من ضمن مجموعته .

ويذكر برنامج الأرشيف لمعهد الفيلم الأمريكي في واشنطن ، ويعتبر معهد الفيلم أر « آف - AFI » كما يسمى عادة ، مؤسسة أهلية أنشئت في عام ١٩٦٧ ليكون مركزاً قومياً للتقدم في مجال الفن الفيلمي ودعم المنظمات والوكالات الأخرى المشتركة في الأنشطة الماثلة . ومن إحدى مهام هذه المؤسسة (آف) الرئيسية تقديم دعم إضافي لأنشطة مؤسسات الأرشيف القائمة ، وكان غرضها الأول الحصول على الأفلام المسرحية والقصصية الأمريكية القصيرة واقتنائها وحفظها من أفلام فترة النترات ، وخاصة في المدة من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩٤٢ ، وهي الفترة التي لم تكن مكتبة الكونجرس تحفظ فيها بأفلام وفقاً لقانون الحقوق المسجلة . وبدلاً من أن يعتمد المعهد ومكتبة الكونجرس إلى إنشاء مؤسسة منفصلة لحفظ الأفلام وصيانتها التي تحصل عليها مؤسسة (الآف) ، اتفقا على التعاون فيما بينهما - وجدير بالذكر أن مؤسسة (الآف) قد عثرت وحصلت على زهاء ٨٠٠٠ فيلم منذ عام ١٩٦٨ ، وقد أضيف كثير من هذه الأفلام فعلاً إلى مجموعة مكتبة الكونجرس . وقد تم اقتناء هذه الأفلام من شركات السينما والمجموعات الخاصة والفنانين العاملين في السينما ومؤسسات الأرشيف والجمعيات التاريخية وغيرها من المؤسسات الخاصة والعامة .

ولقد تبرع عدد كبير من شركات الأفلام والسينما بأفلام نيتريته بما فيها أفلام مشهورة مثل فيلم « فتاة الجمعة » . من إخراج هوارد هوك ، وفيلم « مستر سميث يذهب

إلى واشنطن » ، من إخراج فرانك كابر ، وهو من أفلام شركة كولومبيا وفيلم أورسون ويلز (المواطنة كين) وفيلم جون فورد (المخبر) وفيلم (قلعة الأباش) التي وردت عن شركة آر . كى . أو R.K.O. وفيلم جون هوستون (الصقر المألطى) وفيلم ناطق من الأفلام الناطقة الأولى (أضواء نيويورك) الذى ورد من شركة إخوان وارنر بواسطة جهود شركة يوناييتد أرنست وفيلم (الوصايا العشر) من إخراج سيسيل دى ميل « وفيلم الآن نوان (زازا) وهى أفلام صامتة من مجموعة أفلام شركة باراماونت الصامتة . ولقد وصف أخيراً سام كولا ، رئيس الأرشيف التابع للمعهد وظائف برنامج (الآف) بما يلى :

« إن الوظيفة الرئيسية لبرنامج أرشيف المعهد هى حفظ الأفلام ، ويتم التضحية بجميع المصالح الأخرى من أجل تحقيق هذا الغرض ، حتى لو كان ذلك يعنى أن بعض الأفلام المصونة لن يتاح عرضها على هذا الجيل ، أما الوظيفة الثانية فهى جعل هذا المصدر من الأفلام متاحاً للناس بواسطة إجراء دراسة على أساس شروط مكتبة الكونجرس ، والوظيفة الثالثة جعل الأفلام جاهزة لإتاحتها للحرم الجامعى والمتاحف والمكتبات ثم إلى الجمهور . وبالرغم من الضغوط الهائلة لإعادة ترتيب نظام هذه الأولويات ؛ فإن المعهد يعتقد بأنه يستطيع إسداء خدمة للمصلحة العامة باقتناء أكبر عدد من الأفلام وبأقصر سرعة ممكنة وصيانتها . وفى حين أن الجانب الأكبر من أفلام النيترات الباقية مازالت فى خطر التحلل فى مخازن المنتجين أو الموزعين أو فى الأيدى الخاصة ، فإن الجهود المبذولة لاقتنائها وحفظها تعتبر سباقاً ضد الزمن ومازال السباق جارياً .

ولقد حاول المعهد أن يتيح الأفلام التي في صيانتها للعرض في صالته الخاصة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ؛ وكذلك في مسرح (الآفي) في واشنطن أو بالتعاون مع متحف الفن الحديث وجمعية الفيلم بمركز لينكولن في نيويورك ومتحف لوس أنجلوس وأرشيف الفيلم الباسفيكي في كاليفورنيا . ولقد أحيت هذه الجهود اهتمام النقاد والمؤرخين والموزعين غير التجاريين بالأفلام .

ولقد عمد كولا ؛ الذي انتهت لتوى من قراءة تعليقاته إلى تحديد هدفين معاصرين لعمل الأرشيف الفيلمي في هذه البلاد - وهما إنقاذ أكبر عدد ممكن من أفلام الماضي وجعل هذه الأفلام متاحة إلى المثقفين حيثما كان ذلك ممكناً وإلى جمهور أكبر في أسرع وقت ممكن .

يبد أن الهدف الأول ، وهو إنقاذ أكبر عدد ممكن من الأفلام قد تعقد نتيجة لاحتياجات تكنولوجيا الصور المتحركة والمكان والسياسات القانونية والإدارية . إن تكنولوجيا حفظ الصور المتحركة تتطلب إنتاج نسخ عديدة تحفظ تحت ظل ظروف مثالية ؛ في مواقع منفصلة . وإلى جانب ذلك تتطلب التكنولوجيا لتحقيق أفضل النتائج للمحافظة على الأفلام بنفس أحجامها التي أنتجت بها أصلاً . وليس ثمة شك في أن تكاليف تخزين هذه الأفلام باهظة للغاية لأنها تحتاج إلى بيئة خاصة . والطريقة المثالية لضمان سلامة الأفلام . فإن معظم أنواع الأفلام يجب تخزينه تحت نقطة تجمد المياه بقدر يسير . مع وجوب السيطرة على درجة رطوبة مكان التخزين . وهذا دليل على حالة تقدمنا ، أو عدمها ، وإن كنا مازلنا نحن في الولايات المتحدة غير قادرين على توفير هذه الظروف المثالية .

إن إنتاج نسخة جديدة دائمة تكون أحياناً عملاً بالغ الصعوبة . المعروف أن أفلام النيترات الأولى تنقلص بالتقادم وتصبح بعد عشر سنوات أو عشرين سنة غير قابلة

للطبع بآلات الصور المتحركة العادية ، وعليه يجب إنشاء معامل متخصصة لمعالجة هذه المادة المتقلصة . والأفلام الملونة التي أنتجت بكميات كبيرة منذ أوائل الخمسينيات ، أصبحت ألوانها غير مستقرة وأخذت تبهت تدريجياً - وخاصة الألوان الزرقاء والخضراء المختلفة الدرجات وعندما يستمر هذا البهتان فإنه لن يترك شيئاً لطبع نسخ من الأفلام أو ما يمكن حفظه منها .

وإلى جانب ذلك ، هناك مسائل قانونية وإدارية مختلفة يمكن أن تعوق حماس المسؤولين عن الأرشيف الفيلمي . إن للصور المتحركة كلون من ألوان الترويج ، وضعا قانونياً غريباً في البلاد وكثيراً ما لا تعرض للبيع على نمط الطرق التي تباع بها معظم المنتجات ، ولكن يجري تأجيرها للعارضين لمدة محددة ثم تعاد إلى المنتج أو المالك الذي إذا شعر أنها حققت ربحاً ضئيلاً أو أنها لم تحقق أى ربح مع استمرار توزيعها فإنه إما يعتمد إلى إتلافها أو تخزينها ، وهذا التخزين يعتبر بمثابة إتلاف لمثل هذه الأفلام .

و غالباً ما يكون الوصول إلى مخزن من هذا القبيل مسألة قانونية وإدارية بالغة الصعوبة وفتحها للتأكد مما إذا كانت تحتوى على أى شىء يستحق الحفظ التاريخي . إن الصور المتحركة مازالت إنتاجاً صناعياً . وإنه من الأسهل والأكثر ربحاً إنتاج أفلام جديدة من إعادة عرض الأفلام القديمة مهما كانت قيمتها التاريخية . وبالإضافة إلى ذلك فإن الفنان السينمائي الآن يلقي تسامحاً عالمياً هذه الأيام إذا هو أقدم على مشروع جد يد قبل أن تتخذ أية خطوات حقيقية لحفظ فيلمه الأخير . فهو في غمرة اندفاعه نحو الخلق والإبداع ، فإنه لا يمكن أن نتوقع من فنان أن يفكر في أجيال من المشاهدين لم يخلقوا بعد ، لأنه يشعر أن الجيل الحالي يكفيه ،

وماذا عن التلفزيون ؟ لعله يعتبر جهازاً للصور المتحركة للجيل القادم ، وهو في الوقت نفسه يعتبر الشاشة التي تعرض عليها أفلام هذا الجيل . ومع ذلك ، فإن الأفلام التلفزيونية تسجل على أقل الوسائل دواماً ، هذا إلى جانب أنها معرضة إلى أخطار

الأصوات الإلكترونية غير المرئية . والتشوه الميكانيكى والاستهلاك المادى . ومن ثم فإن التلفزيون يعتبر كابوس المختصين بالأرشيف الفيلمى . إن التاريخ يعيد نفسه فى حقل الفنون العامة المصنعة . لقد كانت الأفلام النيرتاتية الأولى هى الأفلام غير المستمرة ، أما الآن ، فقد أصبحت الأفلام الملونة والتلفزيونية هى التى تخلق مشاكل الحفظ المتعلقة بالأفلام .

ومع أنه من سبق الأوان التكهن بأى شىء ، فإن من الممكن أن يستطيع أخصائيو الأفلام من هذا الجيل أن يحصلوا على المساعدة اللازمة التى من شأنها أن تساعدهم على التطلع إلى الأمام وإلى الوراء أيضاً . وجدير بالذكر فى هذا الصدد أنه قد أنشئت أخيراً مؤسستان قوميتان للفنون وللإنسانيات بدعم فيدرالى وأن هاتين المؤسستين قد أبدتا رعيًا بفوائد ومنافع التعاون الدولى فى هذا الحقل ، والدليل على ذلك هو أن كثيراً من أجهزة الأرشيف الأمريكية أعضاء الآن فى الاتحاد الدولى للأرشيف الفيلمى .

إن تراث غدِ الفيلمى يمكن صيانه اليوم على أكمل وجه وبأقل التكاليف . ولقد استغرق منا إدراك هذه الحقيقة زهاء ٨٠ عاماً . وإننى أرجو مخلصاً ألا يستغرق منا مثل هذا الوقت والسنين لكى ندرك ونستوعب حلول مشاكل الغد . وأقول بطريقة واقعية إن وجود تراثنا الفيلمى المستقبلى مرهون بهذا الإدراك .